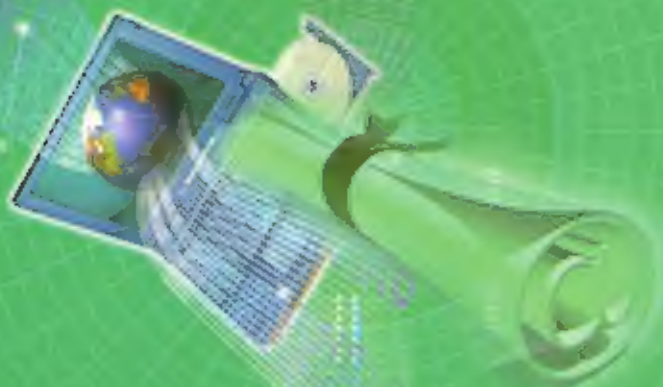


الثقافة الورقية

في زمن الإعلام الرقعي

محمد بن عبد الله الفاضل



● ● محمد بن عبدالله القاضي

- من مواليد محافظة عنيزة بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية.
- نشأ وتعلم فيها حتى حصوله على الشهادة التوجيهية.

● ● المؤهلات العلمية:-

- شهادة الماجستير تخصص " أدب عربي " - القاهرة.

● ● الوظيفة الحالية:-

- عضو مجلس الشورى بموجب الأمر الملكي بتاريخ ١٤٢٢/٣/٣هـ.
- أمين عام مجلس أمناء مؤسسة الشيخ حمد الجاسر الثقافية الخيرية.

● ● الخبرات العملية:-

- عمل مديراً عاماً للعلاقات العامة والإعلام بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية.
- عمل ملحقاً ثقافياً بوزارة التعليم العالي.
- رئيس تحرير المجلة العربية حتى عام ١٤٢٨هـ.
- رئيس اللجنة الثقافية والإعلامية والشباب بمجلس الشورى. (١٤٢٥ - ١٤٢٦هـ)،
- ونائب رئيس اللجنة الاجتماعية والأسرة والشباب بالمجلس حالياً.

● ● الإنتاج الثقافي:-

- صدر أول كتاب له بعنوان "الشيخ حسن آل الشيخ الإنسان الذي لم يرحل" ثم أصدر كتابه الثاني "أشعة للوطن والثقافة"، ثم أصدر كتابه الثالث: "رؤية حول تصحيح صورة بلانكا وإسلامنا" ثم أصدر كتابه الرابع "غاب تحت الثرى أحباء قلبي" في طبعين.

- العنوان: الرياض ١١٤٩٩ - ص.ب ٤٠١٠٤ المملكة العربية السعودية - هاتف ٤٥٦٢٢٠٦ - ف ٤٥٦٥٥٧٦

- البريد الإلكتروني: hamad.alkadi@hotmail.com

- الموقع على الشبكة: <http://halkadi.net>

الثقافة الورقية

في زمن الإعلام الرقمي

محمد بن عبد الله القحطاني



يطلب هذا الكتاب من دار القمرين للنشر والإعلام

هاتف: ٠١٤٥٦٢٢٠٦ - فاكس: ٠١٤٥٦٥٥٧٦

الرياض - طريق الإمام سعود - شرق جمعية الأطفال المعاقين

ص.ب ٤٠١٠٤ - الرياض ١١٤٩٩

info@alqamarain.com

بسم الله الرحمن الرحيم

دار القمرين ١٤٣٢ هـ (ح)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاضي ، حمد بن عبدالله

الثقافة الرقمية في زمن الإعلام الرقمي / ١ الرياض ، ١٤٣٢ هـ

٤٨ ص ، ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٣-٣٠١٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١ - نشر الكتب ٢ - الكتب الإلكترونية

أ. العنوان

١٤٣٢ / ٤٧٤٨

دبوي ٢٤٣، ٣٠١

رقم الإيداع: ١٤٣٢ / ٤٧٤٨

ردمك: ٣-٣٠١٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

مخفوق الطبعة محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

•• هذا الكتيب مهدى إلى محبي ومؤثري « الكتاب المطبوع »

والمشفقين عليه نساء ورجالا في عصر ثورة الاتصالات ، وتنوع

مصادر المعرفة ••

• حمد •

• • •

• الأسلاف وعشق المعرفة :

• أتوقف في مستهل هذه المحاضرة عند حب الأسلاف «الكتاب» حبا كبيرا يصل إلى درجة العشق عند بعضهم، وذلك من وحي قناعتهم أنه مستودع معارفهم وسلوة أيامهم، فضلا عن أنه لا يوجد ما يصرفهم عنه ، وقد ولد المؤرخ ياقوت الحموي في مكتبة ومات في مكتبة ، والإمام أحمد بن حنبل كان عندما يزوره ضيوف يجلس معهم ويؤنسهم ويتحدث معهم ولكنه كان يشغل يديه بتجهيز الأوراق والمحابر، والعالم إسماعيل القاضي روي عنه أنه ما روي إلا ومعه كتاب، و «قصص الوراقين» - وهو مصطلح قديم يطلق على «الكتاب والأدباء» الذين عشقوا الوراقة - كثيرة وجميلة جدا، وقد كانت محصلة هذا العشق للحرف أنه أينع في حياتهم وحياة غيرهم ثمرات طيبة وإبداعات مزهرة.

وكم تنبت من شجرات الحسرة في نفوس عاشقي الكتاب عندما

نرى- في هذا الزمن المعتل الآخر- هوان الكتاب وإعراض كثير من الناس عنه ، وجفاءهم له ، لكن ما يريحنا كثيرا أنه لا يزال وسيبقى عشاق للكتاب يأنسون بالسفر بين سطوره، وتهنأ نفوسهم عند احتضان أوراقه، وقد جسد ذلك أحد عشاق الكتاب عندما جعل من الكتاب « محبوبا » له لا يستغني عنه، ولا يعيره، أو يعطيه أحدا، لقد وضع على باب مكتبته الأثيرة لديه لوحة جميلة كتب عليها هذا البيت الجميل كجمال عيني الحبيب لدى العاشق، وكسحر سطور الكتاب لدى هذا الأديب الشاعر:

«ومحوبي من الدنيا كتاب

فهل أبصرت محبوا يعار»

وأعرف عددا كبيرا من المسؤولين ورجال الأعمال على الرغم من مشاغلهم الكثيرة فإن القراءة تبقى عزيزة لديهم، والكلمة المطبوعة مرافقة لهم في أسفارهم.

ومن يحب الكتاب لا يسلوه مهما كانت مشاغله واسألوا عشاق الكتاب ولا ينبذكم مثلهم.

•• لماذا سوف يبقى الكتاب المطبوع؟

سيبقى الحرف المطبوع والكتاب المقروء ؛ لأن الكتابة هي الحقيقة الأبقى ولقد ورد في القرآن الكريم ما يؤكد هذه الحقيقة (ولن نؤمن لرقبك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه) الإسراء ٩٣ ، فضلا عن الارتباط الوجداني بالكتاب الورقي إحساساً وعناقاً والتصاقاً..!

يروى أن الخليفة هارون الرشيد دخل على ابنه المأمون وبين يديه كتاب يطالع فيه فسأله الرشيد: ما الذي بيدك فقال المأمون: - وهو أحد عشاق الكتاب الذين يعرفون قيمته وجدواه - (بعض ما تشد به الفطنة ويؤنس به من الوحشة).

وقصة أخرى ترسخ مكانة الكتاب تلك هي قصة الفضل بن سهل عندما دخل على المأمون وطفقا يتجولان في بساتين دمشق فقال له الفضل: هل رأيت - يا أمير المؤمنين - أجمل من هذه البساتين فقال المأمون: « أجمل منها كتب تجلو الأفهام أو تسر القلوب وتؤنس الأنفس...! ».

وقد صدق فالأنس الأعرق والأبقى والأوفر ارتياحاً هو الذي تبعثه عوامل الروح وجوافر الوجدان وليس - فقط - مظاهر المادة وزخرف المظاهر!

• رسالة الكلمة ومسؤوليتها :

• حسب الكلمة مسؤولية الرقابة الإلهية عليها حيث يقول البارئ- سبحانه و تعالى - في تحديد دقيق لهذه المسؤولية: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} وفي السنة الشريفة قول كريم يشي ويشير إلى خطورة الكلمة حيث يقول الرسول

السلام - : (إن المرء ليقول الكلمة لا يلقي لها بالا تهوي به
سبعين خريفاً في النار) ، ويقول القائد صلاح الدين : ((والله
ما فتحت البلاد بسيفي ولكن فتحتها برسائل القاضي الفاضل))
- وهو غير المتحدث بالطبع - !!

..الثقافة في صحافتنا :

كانت صحافتنا ثقافية ، بل أدبية خالصة ، وكانت الصفحة
الأولى في صحفنا تحوي قصائد ومقالات أدبية وقصصا ، ثم
جاءت مرحلة الملاحق المتخصصة ، والمجلات الثقافية
والعلمية.

وقد كان الناس صغيرهم وكبيرهم يتابعون كثيرا الصحافة
الأدبية والكتاب بشكل عام ؛ وذلك - بالطبع - لقلة المغريات
الصارفة - وأنا أرى أن مجتمعنا السعودي لم يبلغ الدرجة من
العزوف عن الكتاب إلى درجة الشفقة عليه ، وانظروا كثرة

وانتشار المكتبات التي تحوي أنفس الكتب ولو لم تكن ناجحة لتم
إغلاقها ، وهناك مقولة لأحد الناشرين : « الكتاب يُولف
في مصر ، ويُطبع في بيروت ، ويُقرأ في السعودية ».

والحق أن في القراءة متعة لا يظفر بها إلا من يجد المتعة وهو
يدير أهديه بين جدران الكتب ، يقول الشاعر محمد بن
عثيمين في بيت جميل :-

« جعلت سميري حين عزّ مسامري * دفاتر أملتّها العقول
النوابغ »

إن الذي يحرم متعة القراءة يحرم - في تقديري - من أحد متع
الحياة الجميلة.

فضلاً عن أن للقراءة أثراً باقياً - وليس طائراً - على رؤية
الإنسان للحياة واستلهاهم تجارب الآخرين للإفادة منها في

اتخاذ قراراته ومواجهة مشكلاته.

يقول الأديب الفرنسي " أندريه جيد " : « عندما تعيد الكتاب إلى الرف ثانية بعد قراءته تأكد أنك لن تكون الشخص نفسه بعد قراءته ».

وقد صدق...!

وهذا يعني أن للقراءة سلطة ذات تأثير قوي لها أبلغ الأثر في قناعات الإنسان في هذه الحياة ومساره فيها ، وبالتالي فإن على الإنسان أن يكون دقيقاً فيما يختار وفيما يقرأ ويطالع ويفتني من الكتب والمطبوعات.

..السؤال الأهم: هل لدينا ثقافة تستحق القراءة والتصدير؟

• منجزنا الثقافي - في تقديري - متزامن مع المنجزات الأخرى أو بالأحرى لعله مقارب لها ، إننا نرى أن هناك عشرات المجلات والصحف التي تطبع وألاف الكتب التي تصدر ، والكثير من القنوات الثقافية ، ولولا وجود ((زبائن)) لها وتوافر القاطنين لحصادها لما صدرت هذه الكتب ولما وزعت هذه الصحف والمجلات ، وعلى الرغم من عمرنا الحضاري الثقافي القصير في هذا المنجز إلا أننا أنجزنا شيئاً جيداً ، ونحن ماضون بخطى حثيثة لنكون في زمالة وندية مع أكثر الدول تعلماً وثقافة.

يبقى أن هذا المنجز الثقافي يحتاج إلى دعم ومساندة مادية ومعنوية ومن يطلع على المنتج الثقافي السعودي يحس أن بلادنا ليست بلاد نفط ومدن إسمنتية فقط ، ولكنها وطن

حضارة وثقافة وإنسان يعطي ويبدع ، ألم يقل القصبي في
بيت شعري جميل وصائق :

« نط يقول الناس عن وطني *

ما أنصفوا وطني هو المجد»

٠٠ القراءة وأثر الوسائل الإعلامية الحديثة.

* نعم وسائط المعرفة الحديثة في زمن ثورة الاتصالات
والشبكات العنكبوتية والقنوات الفضائية لها تأثير في صرف
بعض الأحداق عن الكتاب والكلمة المطبوعة لكن في ظني
ليس هناك شيء يلغي شيئاً ، فثقافة (الإنترنت) مهمة ، ولكن
الكلمة المكتوبة ستبقى ، وثقافة الفضائية لا تنفي ثقافة الكلمة
المقروءة ، إن كل واحد - في تقديري - يكمل الآخر.
إن ميدان التنافس هو أن تقدم شيئاً يستحق المتابعة سواء أكان

مقروءاً أم مشاهداً أم مسموعاً ، ففي ميدان القراءة قدم كتاباً جيداً وسوف تجد له قراء ومتابعين كثر ، وليس أدل على ذلك من كتاب «حياة في الإدارة» للدكتور غازي القصيبي فقد حقق أكبر نسبة مبيعات على الرغم من طباعته في عصر (الإنترنت) والفضائيات ، وكذا كتاب « أي بني » للدكتور : عبدالعزيز الخويطر الذي وزع منه الكثير ، وكتاب الداعية عائض القرني (لا تحزن) الذي وزع في داخل المملكة وخارجها بأعداد كبيرة جدا وغيرها كثير.

إنني من متابعة ميدانية وليس من منطلق عاطفي أقول: إن الكتاب الجيد والكلمة المكتوبة سوف يبقيان ، وليس هناك شيء يأخذ مكان شيء، فالمذيع بقي على الرغم من ظهور التلفاز وانتشاره ، والتلفاز استمر على الرغم من وجود «الإنترنت» وهكذا. وتبقى ميزة للكتاب أنه لا يحتاج إلى أجهزة وأسلاك وكهرباء ، وتستطيع أن تقرأه وأنت قائم أو

قاعد أو مستلق ، وتستطيع كفاك وعينك أن تحتضنه وأنت في الأرض أو في السماء ، فضلا عن أن قراءة كتاب ذي صفحات كثيرة عبر شاشة « الإنترنت » صعبة للغاية ، ولذا نجد شيوع مصطلح « تصفح » الإنترنت ولا يقال قراءته.

أما من جانب منافسة « الشاشات الأرضية والفضائية » فإن كثرتها جعلت من العسير على الجالس أمامها متابعة ما يبث فيها ، وهذه « الكثرة » رجحت الكفة لصالح الكلمة المقروءة ذلك أن القنوات الفضائية جعلت الإنسان لا يركز في مشاهدته للشاشة بل ينتقل عبر « المحرك الآلي » ثم في النهاية يسأم ويدع الشاشة مفتوحة كيفما اتفق...!

ثم ألا يكفي أن قراءة صحيفة أو مجلة خلال دقائق تختصر له ما يدور في عالمه ومجتمعه ، وتكون أحفظ لوقته وأسلم لعينه وأوفر ارتياحا لنفسه.

أجل إن التعامل مع الكلمة المطبوعة أيسر جهداً وأكثر جدوى فضلاً عن أنها تحمل توثيقاً للمعلومة ، ناهيك عن الارتباط العاطفي بين القارئ والكتاب سواء للكبار الذين عاشوا حياتهم معه ، أو الصغار الذين تعاملوا معه عبر مناهجهم ومدارسهم.

إن هذه العلاقة حميمة ، تماماً كما هي العلاقة بين حضن الأم ولهفة الطفل.

العلاقة بالكتاب علاقة تاريخ وحضارة وجذور ، يقول أحد عشاق الكتاب الأستاذ الشاعر : هاشم الجحدي : « ما زلت مؤمناً برغم كل صيحات الإحباط ، ودعاوى التشاؤم ، بأن المستقبل للكتاب ، برغم كل وسائل الاتصال ووسائط المعلومات. فالعلاقة بالكتاب ليست علاقة مع النص فقط ، ولكنها علاقة روحية تتجذر عميقاً في روح وبقين الإنسان

منذ أقدم عصور البشرية. ترى ما الذي يجعل بعضنا ينادي
بقتل الكتاب ، بالكتاب والنار فقط استطاع الإنسان أن يكتب
تاريخ البشرية على هذه البسيطة».

• وفي إحصائية رسمية موثقة لوزارة الثقافة بالمملكة العربية
السعودية تم نشرها جاء فيها أن عدد المطبوعات ما بين
صحيفة ومجلة التي توزع في أسواق ومكتبات المملكة بلغ
عددتها (١٦٠٠) مطبوعة وكل مطبوعة في هذا الرقم توزع
عشرات الآلاف من النسخ.

وينهض هنا سؤال مهم ومقنع : لو لم تجد هذه المطبوعات
قراء ومتابعين لها لما تم طبعها وتوزيعها وبيعها وتحقيق
الربح المادي منها ، إن المسألة هنا - بلغة أهل الاقتصاد -

مسألة عرض وطلب..!

لكل هذا ولأكثر منه أجزم أن الكلمة المطبوعة باقية ، ليس لمجرد أن هذا حلم عاشق أو أمنية حالم ، بل لأن هذه حقيقة ، يقول أحد كبار المسؤولين عن شركات توزيع المطبوعات ، مدير عام الشركة الوطنية للتوزيع بالملكة أ. محمد الخضير عندما سئل في حوار صحفي بمجلة اليمامة بتاريخ ١٤٢٥/١٢/٢٥ هـ : « هل الثقافة المكتوبة بالتحسار بعد الفضائيات ومواقع « الإنترنت » فأجاب قائلا : « تصاعد أرقام التوزيع تنفي هذه المقولة ، والدليل أن مبيعات الشركة من المطبوعات زادت عام ٢٠٠٤م عن العام الذي قبله ».

•• أما أكبر دليل فهو هذا الإقبال الكبير الذي يزداد عاماً بعد عام على معارض الكتب العالمية كمعرض « فرانكفورت الدولي للكتاب » ، وما نراه في بلادنا من الإقبال كل عام على معرض الرياض الدولي الأخير للكتاب حيث شهد المعرض

الماضي ١٤٣٢ هـ زيادة ابتياع واقتناء الكتب ، بل نفاد عدد كبير من الكتب في الأيام الأخيرة، حيث بيع بالمعرض مئات الآلاف من الكتب خلال مدة المعرض المحدودة.

أقف أخيراً للدلالة على استمرار الكتاب الورقي ووجهه ما قرأته بصحيفة ((الحياة)) بتاريخ ١٦/٦/١٤٣٠ هـ حيث قال مدير عام إحدى أكبر المكتبات بالمملكة ((مكتبة العبيكان)) أ. عبدالله البطحي: ((أن المكتبة تنشر كل عام (٤٠٠) ألف عنوان كتاب جديد)) ، بمعنى أنها تنشر كل يوم كتاباً جديداً بل أحياناً كتابين جديدين على ضوء هذا الرقم ، وهذا ما أكدته أ/ فهد العبيكان مالكة هذه المكتبة.

لو لم يكن هناك قراء هل سيكون هناك مثل هذا الإقبال ومثل هذا الاقتناء ؟

•• إنه ليس بعد الأرقام من حقائق!••

أمر آخر يعضد هذه الحقائق : هو أن ثورة الاتصالات - في ظني - ستخدم الثقافة المطبوعة والكتاب المقروء وستساعد على نشرهما ، والتعريف بهما واقتنائهما ، وليست حربا عليهما ، وقد بدأنا نسمع عن «الكتاب الإلكتروني» ، ونتابع ونشاهد بعض البرامج الثقافية عبر بعض الفضائيات ، وجلها تتجه إلى ترسيخ الثقافة ونشرها ، والحفز على القراءة والاطلاع ، وأينما تمطر فخراجها لأرض القراءة وإثراء الفكر.

لكن الذي نخشاه ألا تقدم هذه الوسائط: الثقافة الجيدة ويستمر - الكثير منها كما هو السائد الآن - في تقديم التفاهات وثقافة التهميش - إن صححت التسمية - عبر الفضائيات ومنشديات « الإنترنت » ، فتشغل المتلقين -

وبخاصة الأجيال الجديدة - بمتابعتها ، وتصرفهم عن الثقافة الجادة والجيدة. وانظروا إلى كثير من الفضائيات ، وتصفحوا أغلب مواقع وساحات ومنتديات «الإنترنت» وسوف تفقون على حقيقة ما أقول.

تبقى مسألة مهمة وهي: «توثيق المعلومة» الموجودة على مواقع «الإنترنت» أو ما يسمى (النشر الإلكتروني) ، هي في أغلب المواقع - وبخاصة الشخصية التابعة لكاتب أو باحث أو شاعر - ، لا تحمل طابع التوثيق أو التدقيق ، لأنها منتج قابل للتعديل أو التغيير في أي لحظة من قبل صاحب الموقع ، سواء أكان باحثاً أم دارساً أم شاعراً أم عالماً، بخلاف الكتاب المطبوع الموثق بطبعته وزمنه المطبوع عليه، والذي تستطيع أن ترجع إليه اليوم أو بعد مائة عام.



حقيقة أخرى : هو أن القراءة عبر شاشة الحاسب مملة للنفس، مرهقة للعينين، وأقول هذا عن تجربة ، ولذا تلاحظون - كما أشرت سابقاً - أن القراءة عبر « شبكة المعلومات » تسمى تصفحاً ولا يطلق عليها اسم « قراءة » ؛ لأنها لا تحقق الإحاطة والعمق وترسيخ المعلومة.

مرة أخرى هذا لا يعني إطلاقاً نفي تلك الجدوى العظيمة التي قدمتها ووفرتها وسانط المعرفة الجديدة لكل باحث بل ولكل إنسان من خلال كم تلك المعلومات الثرة في كل شأن..!

لكن القضية : قضية تكامل وإفادة وتنافس بين ما تقدمه شاشة الجهاز ، وصفحة الكتاب وشبكة « الإنترنت » ، وكل إنسان يختار الفضاء الذي يرغب أن يخلق فيه ، تماماً كما ينام الإنسان على الجانب الذي يرتاح إليه.

وفي كل الأحوال لا يعني كثرة وسائط المعرفة التقاطع بين الخيارات بقدر ما يعني التوافق بين أهداف هذه الوسائل ، والمحصلة هو إثراء المعرفة وسهولة الوصول إلى المعلومة وتوثيق المادة المقدمة.



•• العلاج بالفراة :

لقد قرأت بحثا علميا جيدا للباحثة الوراقية أ/ فوزية الجلال أسمته (توصيف الأثر الكتابي)، وقد أشارت فيه إلى ((أنه في بعض مستشفيات الغرب هناك ما يطلق عليه «عربة الكتب» وهي تدور بين غرف المرضى - كما تدور عربات الغذاء- وكل مريض يأخذ الكتاب الذي يرغب فيه حيث يجد فيه - وهو في غرفته - ما يؤنسه ويتقفه، بل ويسهم في علاجه)).

والعلاج بالقراءة حقيقة قائمة أثبتتها القرآن الكريم قبل أن يثبتها الغرب: {وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة} الإسراء- الآية ٨٢.

يقول أحد علماء النفس عن أثر القراءة في المساعدة على الشفاء:

« إن العلاج بالقراءة هو أسلوب جديد لتهيئة المناخ والظروف لمناقشة أبعاد المشكلة التي لا يمكن مناقشتها دون القراءة ، ربما بسبب الخوف أو الخجل أو الشعور بالإثم ، وبمساعدة المعالج يمكن مساعدة المريض على التعبير عنها من خلال المادة القرآنية الموصوفة لحالته ».

إن القراءة بغض النظر عن جدواها الثقافية هي نوع من الترفيه الذي يكون محصوله الراحة والسعادة ، يقول الباحث أ.

صلاح الشهاوي في بحث لطيف له عن القراءة نشرته مجلة المعرفة في عددها رقم (١٣٥) : « الناس يلجؤون للكتب للقراءة ، يتسلون عن مصائبهم حتى رأينا المنصور يطلب من يسليه بالشعر ، فقد جاء في كتاب قصص العرب «لما مات جعفر بن أبي جعفر المنصور مشى أبوه في جنازته من المدينة إلى مقابر قریش ومضى الناس أجمعون معه ، ثم دفنه ، ثم انصرف إلى قصره ، أقبل على الربيع فقال : يا ربيع انظر من ينشدني ويسليتي بقصيدة «أمن المنون وريبها تتوجع».

وقد سبق كل بحوث ونظريات العلاج بالقراءة الشاعر العربي: قيس بن الملوح ، قبل أكثر من ألف عام عندما قال:-

« وما أشرف الإيفاع إلا صباية

ولا أنشد الأشعار إلا تداويا »

وقد صدر لباحث معروف هو أ. شعبان خليفة كتاب يحمل اسم
«العلاج بالقراءة».

•• التقنية حفزت على القراءة :

لقد أشرت سابقا إلى أنه لا تعارض بين القراءة عبر الورق أو
من خلال صفحات «شاشة الانترنت».. فقد شجعت وسائط
المعرفة الجديدة على القراءة وحفزت عليها وبخاصة الناشئة
والشباب فأصبحوا ينكبون على «الانترنت» يقرؤون أو
يتصفحون - كما هو التعبير الأكثر شيوعا - يبقى - مع الأسف -
أن أغلب ما يتم التوجه إلى قراءته عبر هذه الشبكة سواء من
قبل الكبار أو الصغار مضيع للوقت دون جدوى، حيث
التوجه إلى قراءة «مواقع معينة» تجد الإقبال الكبير عليها،

والاندفاع نحوها حال الدخول إلى غابات هذا العالم المعلوماتي الحر ، وهذا هو الفرق بين اختيار الإنسان لكتاب أو مطبوعة معينة للقراءة يخرج منها بحصيلة معرفية جيدة ومفيدة وباقية ، أو أن تكون كل الفضاءات مفتوحة.. وأمامه الصالح منها والطالح على حد سواء ، لكن الكثيرين يتوجهون نحو الأكثر إثارة وإن كان أقل جنوى وربما الأوفر ضررا - فليس كل قراءة مفيدة!



•• كيف نجعل الناس - وبخاصة الجيل الجديد - يقبلون على القراءة ؟

• أشير أولا إلى حقيقة تقول : إنه من أبلغ سبيل تفوق الإسلامية على الحضارات السابقة في عصور سائلة هو عنايتها بالفكر والعقل ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق البحث والترجمة والقراءة التي توسع مدارك الأمم والأفراد وتفتح فضاءات العلم والمعرفة واستشراف المستقبل أمامهم ،

وتجعلهم يحيطون علماً بتجارب وحضارات غيرهم ليفيدوا منها ، ويضيفوا إليها.

إن المغريات التي تصرف الجيل الجديد عن القراءة كثيرة ، لكننا لن نياس من البحث عن الوسائل لتحبيب القراءة إليهم وإغرائهم بها ، وإقناعهم بجودها ومتعتها ، وأهم السبل إلى ذلك : أن نسعى لتقديم العطاء الثقافي والعلمي الجدير بالتسويق الجيد، والحافز على معانقة الحرف.

إنه كما يجب علينا توفير الغذاء المادي لأبنائنا وللأجيال الجديدة، فإن علينا أن نوفر الغذاء الفكري لعقولهم، وأن نحرص على إيجاد (مكتبة منزلية) فيها مختلف الكتب التي تحفزهم على القراءة وليس لمجرد التجميل واستكمال عناصر

المنزل فقط ، إن التحدي الذي يواجهنا حالياً أن القراءة كما تقول الأديبة أميمة الخميس: «عادة مكتسبة»، لذا لا بد أن نحاول غرسها بداخل أطفالنا في مرحلة مبكرة من أعمارهم.

وقد قال الأديب العربي : فوزي عطوى مقولة صادقة : «ويل لبيت مطبخه أكبر من مكتبته»! وقد صدق.. لأن هذا يعني الاحتفاء بالبطون وإهمال العقول..! وكيف يتم النجاح لإنسان معطل العقل؟! وكيف لأمة أن تحقق أهدافها وهي بمنأى عن عطاء الفكر الذي يمنحها القدرة على الإبداع والخلود. والغريب أنه على الرغم من أن أسلافنا وأجدادنا كانوا عاشقين للقراءة، وعن طريقها بنوا حضارتهم ، وسبقوا العالم في العطاء الفكري والاجتماعي والطبي ، فإننا الآن «شوفة عيونكم» كما يقول التعبير الشعبي ، وقد حل أبناء الغرب محلنا في عشق القراءة فسبقونا في منظومات البناء ، والاكتشاف والإبداع الحضاري والعلمي.

لقد قرأت آخر إحصائية عن القراءة في بريطانيا تم نشرها في عام ٢٠١٠م جاء فيها بالأرقام : « إنه في عام ٢٠١٠م تم طباعة أكثر من (٢١) ألف كتاب جديد بينما في العام الذي سبقه تم إصدار خمسة عشر ألف كتاب جديد أي بزيادة ٤٠% عن عام ٢٠٠٩م » مما يعني إقبال القارئ وزيادة أعدادهم هناك إلى الضعف على الرغم من تقدم ثورة المعلومات وتقنياتها ، ووجود وسائل الترفيه لديهم ، ولكن عندهم كل شيء له وقته ، وله حقه.

بل حتى على مستوى قراء الصحف والمجلات في العالم تؤكد الإحصائيات زيادتهم، ففي بحث موثق نشره رئيس قسم الصحافة والنشر بجامعة سيتي بلندن عام ٢٠١٠م : أوضح أن نسبة عدد قراء الصحف في العالم ازدادت وبخاصة في الدول ذات الكثافة السكانية مثل الهند والصين.

•• أما في العالم العربي.. فماذا عندنا ؟

انظروا إلي الناس والشباب كيف يقضون أوقاتهم ، أو كيف يضيعونها بالأحرى دون أدنى عملية توازن بين الجدية والترفيه ، وبين تفاهة الأشياء وإثراء العقل ، وكم شذني الكاتب د/ محمد الكثيري وهو ينعي في مقالة نشرها في صحيفة الاقتصادية عام ١٤٢٦ هـ عن حال (الكتاب المقروء) والهجر غير الجميل له في ربوعنا وربوع بني يعرب عندما كتب مقارنا ومتألما مثل صاحبكم ، وقد جاء فيها:-

«تأمل كيف يقضي المسافرون أوقات الانتظار في مطار مثل مطار الملك خالد في الرياض، أو الملك عبدالعزيز في جدة، أو الملك فهد في المنطقة الشرقية، أو غيرها من المطارات المحلية الأخرى المنتشرة هنا وهناك؟ إن الوقت في الغالب الأعم يُقضى في الثرثرة عبر الجوال حتى يخيل إليك أن جميع أولئك المسافرين ليسوا سوى رجال أعمال أو مسؤولين

حكوميين كبار. في المقابل تأمل المشهد ذاته في مطار هيثرو في لندن وأوجي إف كينيدي في نيويورك ، أو مطار مونتريال في كندا ، أو غيرها من المطارات العالمية المنتشرة في الكثير من الدول والعواصم الغربية تجد العكس، حيث ينغمس الكثير في القراءة والاطلاع على كتاب أو مجلة أو صحيفة .»

ولن أقول تعليقاً على هذه المقولة – وبكل شجن – إلا : لقد صدقت !

بقي أن أقول إن الاحتجاج بشح الوقت ليس صحيحاً ولكن القضية قضية تنظيم، ولو خصص المرء وقتاً محدوداً ولو قصيراً جداً لخرج بحصيلة جيدة من القراءة، وأورد هنا إحصائية دقيقة بالأرقام أعدها وأوردها أ. زيد الواكد في مقالة نشرها بصحيفة "الجزيرة" تؤكد أن أي وقت مهما قصر عندما يخصصه الإنسان للقراءة تكون ثمرته عدداً كبيراً

من الكتب في العام، وهذه الإحصائية التي تكشف عن مفاجأة جميلة في عدد الكتب التي يكون الإنسان قرأها آخر العام: ((لو قرأت بواقع ربع ساعة يومياً ولو كانت قبل خلودك للنوم، ستكون حصيلة قراءتك أسبوعياً حوالي ساعتين أي بواقع ثماني ساعات شهرياً بمجموع قدره ست وتسعون ساعة سنوياً أي ما يعادل قراءة ٣٠ كتاباً في العام إذا افترضنا أن قراءة الكتاب بمجمله قد استغرق منك من (٣- ٤) ساعات، فهل رأيتم ماذا صنعت الربع ساعة تلك؟)).



وبعد: لن أوغل في المبالغة ولن أتوغل في التفاؤل وأراهن على أن الكتاب المطبوع سيبقى الأوحـد في فضاء المعرفة، ولكنني أراهن على أنه سيبقى أحد أهم روافد المعرفة الموثقة من جانب، ومن جانب آخر سيظل سابقاً ولاحقاً «خير جليس» ينبت شجرات المعرفة، ويؤنس في عتمة الحياة، ويسكب رحيق

العطاء في حقول الأفتدة.

لقد سنل أحد الحكماء : « ما بلغ سرورك بكتبك فأجاب هي أن خلوت متعني ، وإن اهتممت سلوتي ، وإن احتجت للسراي فمنجدي».

و« زبدة » القول.. كما يؤكد « الواقع » وتكشف عنه رغبات الناس ، وكما أوضحت في هذه الورقة : أنه لا تقاطع إطلاقا ما بين « الثقافة المطبوعة » و « الثقافة الإلكترونية » و« الثقافة الفضائية » ، فكل راغب في المعرفة يتلقاها من « النبع » الذي يرد إليه ، ويرتاح له ، ولكل وجهة هو موليها ، فلنستبق « رحيق الكلمة » من أي سبيل نرتنيه.

•• ختاماً:

رائعون هم أولئك الذين يرون أن من أجمل الأوقات لديهم هي تلك التي يكونون فيها بين أحضان الحرف ، أولئك الذين يجدون أن من أمتع رحلاتهم تلك الرحلة التي يسافرون عبر أشرعتها بين أهداب الكلمات..!

أرجو أن أكون وفقت فيما حبرت.

و :-

« إن كنت قد عبرت عما دار في خلدي

فما رميت ولكن الإله رمى »

كما يقول الشاعر العثيمين :

والى الملتقى عبر شراع حرف أو قارب كتاب.

•• أصداء ••

•• بعد نشر أبرز ما تناولته هذه المحاضرة وعرض مقتطفات منها في بعض الصحف وبعد أن أرسلتها إلى بعض أحبة أعرف هيامهم بالكتاب، تلقيت أصداء أغلبها تتفق مع ما ورد فيها حول بقاء الحرف المطبوع لكنها تشفق عليه خشية من أقول نجمه أو انطفاء وهجه، فضلا عن الحوار الجيد الذي دار بين حضور نادي الأحساء من مثقفي ومتقفات الأحساء والمحاضر.

•• لقد كان أبلغ هذه الأصداء هذه الرسالة المؤثرة أو بالأحرى "المقالة" البليغة التي بعثها إليّ معالي الدكتور محمد بن أحمد الرشيد بوصفه مثقفاً ومربياً وعاشقاً للكتاب، ويسرني أن أنشرها في نهاية هذا "الكتيب" لتكون الختام "المسك" الذي لا يضاهيه إلا مسك رائحة الحبر، وأريج عطر الحرف، وعبق أنفاس الحب.

« وخير جليس في الزمان كتاب »

د. محمد بن أحمد الرشيد (*)

•• أخي الوفي الصديق الكريم الجواد/ حمد بن عبدالله القاضي

حفظه الله

عضو مجلس الشورى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

كدأبك في كل الزمان جواد.. وكما عرفناك في كل الأمور
مجدداً واعياً سعدت بحق حين قرأت نص محاضرتك القيمة :
((الثقافة المطبوعة بالزمن الفضائي)) والتي ألقيتها في نادي
الأحساء الأدبي..

(*) المربي والكاتب المعروف/ وزير التربية والتعليم السابق.

بنهم، وتأمل، وتلذذ، قرأت هذه المحاضرة.. بل كأنني أراك
واسمعك أمامي وأنت تلقي أصوب الأفكار، وتؤكد أعظم الحقائق؛
وهو بقاء الكتاب - الكتاب المطبوع.. المطبوع في أوراق.. وليس
على أقراص مدمجة، أو منشور على صفحات الهواء في
الإنترنت.. أو غير ذلك من المستجدات.. التي لا ينكر أثرها.. لكنه
الكتاب الحقيقي المطبوع.. قال تعالى : (ولو نزلنا عليك كتابا في
قرطاس) "سورة الأنعام آية ٧".



●● أصبت الهدف.. وسبققتني بقول الحق.. فهذه الحقيقة هي
الأصل الذي لا مرأى فيه.. فالكتاب المطبوع المقروء هو الحقيقة
التي تحمل كل الحقائق الأخرى.. جاء الكتاب ومادته (ثلاثمائة
وعشرين) مرة في القرآن الكريم.. مما يؤكد أن الكتاب هو
الأصل..

قال تعالى : (وما كنتم تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينكم) "سورة العنكبوت آية ٤٨" إشارة إلهية إلى أن الكتاب الحق هو ما يكتب بالخط - وقال تعالى : (أم لكم كتاب فيه تدرسون) "سورة القلم آية ٣" هو الكتاب أصلاً للقراءة.. للدراسة، والتعلم، والثقافة.. وقال تعالى : (ولن نؤمن لرفقائك حتى نُتزل علينا كتاباً نقرؤه) "سورة الإسراء آية ٩٣".. نقرؤه.. لا نشاهده مرنياً على الشاشة الصغيرة أو من خلال الشبكة الكبيرة.. ولهذا قال تعالى : (وما أتيناكم من كتب بدرسونها) "سورة سبأ آية ٤٤".

لقد أصيبت الحقيقة حين قلت: إن الارتباط الوجداني بالكتاب الورقي ارتباط إحساس، وعناق، والتصاق.



أخي الأستاذ الكريم:

نسي من ينادون بتحويل الكتب من الورق، والطباعة إلى الصفحات، والغرف الهوائية، والتلفازية، والأقراص المدمجة.. أنهم أخذوا كل ذلك من الكتاب المطبوع.. إن هم غيَّروا الثياب فالجسم الأصلي باق.. كلهم يمتاحون ما ينشرون مسموعاً أو مرئياً من المورد الثابت، الكتاب.

وإني لموافق لك في أن القراءة زاد وثراء.. ويصدق ما نقلته عن الأديب أندريه جيد : (عندما تعيد الكتاب إلى الرف ثانية بعد قراءته تأكد أنك لن تكون الشخص نفسه بعد قراءته)، وقد تأكدت هذه الحقيقة أكثر من مرة وآخرها فيما قاله الأستاذ/ رجاء النقاش في الكتاب الذي ألفه وأصدرته جريدة (الرياض) عن المرحوم أستاذنا عبدالعزيز التويجري،

قال النقاش : (انتهيت من قراءة كتاب التوجيه عن المتنبي في أيام قليلة، ولم أكد أغلق الكتاب حتى أدركت أنني دخلت الكتاب مع المتنبي وحده، وخرجت منه في صحبة اثنين، هم المتنبي والتوجيه).

حقيقة راسخة.. هي بقاء الكتاب المطبوع.. أو الصحيفة أو المجلة المطبوعة أصل المعارف، ومورد الثقافات.. ومنها تنوعت الصور التي تقدم فيها المعارف، وتصدر بها الثقافات فإن الكتاب الورقي المطبوع هو الأصل.. والأصل ثابت، والحقيقة باقية. ثم كيف ننسى أن الكتاب هو أقدم وأول ما عرفت البشرية من وسائل العلم والمعرفة.

أستاذك في إضافة بعض ما قاله العلماء، والمشاهير والشعراء، وفيه يؤكدون عظمة الكتاب المطبوع وأنه العلم، والخبر، والصديق، والمربي، والوفي، والفخر، والزينة.

قال شوقي :

أنا من بدل الكتب الصحابا

لم أجد لي وافيًا إلا الكتابا

صاحب إن عبته أول لم تعب

ليس بالواجد للصاحب عابا

صحبة لم أشك منها ريبة

ووداد لم يكلفني عتابا

ويقول في مكانة الكتاب المطبوع :

غال بالتاريخ فاجعل صفحة

من كتاب الله في الإجلال قابا

قلب الإنجيل، وانظر في الهدى

تلق للتاريخ وزنا وحسابا

وصدق المتنبى حين قال :

أعز مكان في الدنيا سرج سابح

وخير جليس في الزمان كتاب

●● هذا ليس في ثقافتنا.. بل الدنيا كلها تشهد للكتاب المطبوع
المقروء بالقيمة التي لا تساويها قيمة.

قالت (اليزابيث براونج) : (الكتاب هو المعلم الذي يعلم
بلا عصا.. ولا كلمات، ولا غضب، إن دفوت منه لا تجده
نائما، وإن قصده لا يختبئ منك، إن أخطأت لا يوبخك، وإن
ظهر جهلك لا يسخر منك).

ومثلها (كيث) يقول: (غرفة بلا كتب كالجسد بلا روح).. وهنا
أقول: يكفي الكتاب المطبوع فخرا أن كل عظماء الناس من
مختلف الرتب والمناصب يحرصون أول ما يحرصون عند
تأثيث بيوتهم، ومكاتبهم أن تكون هناك غرفة فخمة للمكتب

.. وأن نقتني فيها الأعداد الكبيرة.. والنوادر الموروثة.. حتى وإن كان صاحبها لا يقرأ.. لكنه الكتاب مظهر الفخامة والفخار، والمكانة الاجتماعية.

وإذا ضاع الكتاب ضاعت معه الحضارة.. وطُمست المعرفة.. قال (راي برادبوري) : (ليس عليك أن تحرق الكتب لتندمر الحضارة، فقط اجعل الناس تكف عن قراءتها.. يتم لك ذلك).

وقال آخر : (الجريمة الأخطر من حرق الكتب في عدم قراءتها).

هكذا الكتاب.. بناء حضارة ورقية أمة.. أقول ما قلته أنت يا صديقي : (الكتاب المطبوع المقروء.. ففي الكتاب المطبوع تطالع عقول الرجال، وتمضي حيث وقفوا، وتنطلق من حيث انتهوا).

•• لكنك أثلجت صدري بما ذكرته عن ازدياد بيع الكتب المطبوعة، ولدينا في المملكة عدد من المكتبات الوطنية العامة تحتوي على ملايين من الكتب التراثية والحديثة.. واذهب يوماً إلى مكتبة الملك فهد الوطنية أو مكتبة الملك عبدالعزيز العامة أو مكتبات الجامعات ستجد عدد المترددين كل يوم يزيد.. مما يؤكد ثبوت الحقيقة، وهي أن الكتاب المطبوع هو الأصل للعلم، والمصدر الحقيقي للثقافة والمعرفة.

ويؤكد ذلك ما أشرت إليه من أن لدينا كتباً مؤلفوها من أعلامنا، وأعلامنا المعاصرين طبعت عدة طبعات لشدة إقبال القراء على شرائها، وما كان منذ شهور في المعرض السنوي للكتاب، وبكم مليون اشترى الناس كتباً، إلا دليل قاطع على تميز الكتاب المطبوع وتفوقه على كل ما سواه من وسائل النشر.

●● إننا لا ننكر أثر التقنيات الحديثة، كالحاسب الآلي، والإنترنت، والأقراص المدمجة وشتى الوسائل العصرية، لا ننكر فضلها في حفظ المعارف وصيانة التراث.. بل وسهولة حملها، ورخص الحصول عليها.. قرص مدمج واحد، أو تشب يحتوي مئات من الكتب، ومئات الألوف من أبيات الشعر.. والتمن لا يساوي ثمن كتاب صغير.. لكن الكتاب هو الأسبق.. وهو الأمتع.. وهو الأبقى.

ومع تطور التقنيات في بلاد كالولايات المتحدة الأمريكية إلا أنني شديد الذهول بكثرة المكتبات التجارية، مثل سلسلة: (بارنز ونوبل)، وسلسلة: (بوردر) إذ تجدها في البلدة الصغيرة.. والقرية النائية، وبفروع متعددة.. بل إنني في كل زيارة لإحدى هذه المكتبات أقف طويلاً لأسدد ثمن الكتب التي اخترتها.. وقد تكون أكثر من حملي أحياناً.. الكتاب إغراء، وله إعجاب يدفعك إلى اقتنائه مهما غلا ثمنه.. فما فيه أغلى

من كل ثمن، كما لا أنسى أنه حين يعلن عن وقت إصدار كتاب لمؤلفه سمعة مرموقة فإنك تجد الطوابير المتزاحمة لساعات عديدة أمام المكتبات التي تتولى بيعه. والكتاب الذي نقرؤه.. هو الذي يشملنا ويسيطر علينا.. ففيه عقولنا تفحص، وفي صورته عيوننا تنتقل.. ومن ثماره ثقافتنا تتغذى، وبما تغذينا منه أقلامنا تكتب وتؤلف. (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) "سورة الإسراء آية ١٤". سوف يكون الحساب بالكتاب.. فالأصل هو ما سجل فيه من كل لفظ، وإن كانت معه المشاهدة والمناظرة حين تنطق الأيدي بما فعلت، والأرجل بما مشيت إليه.. فكأنني أرى في مخترعات العصر أساساً سابقاً في الحياة.. وإن تطور وأخذ صوراً جديدة في البث والإخراج فإن لها أصلاً - كما للكلام أصل في الكتاب.

لكم شكري وتحياتي على سبقكم بكل جديد.. وتحياتي لكم على إهدائكم الكريم.

أخوكم المحب

محمد بن أحمد الرشيد



يطلب هذا الكتاب من دار القمرين للنشر والإعلام

هاتف: ٠١٤٥٦٢٢٠٦ - فاكس: ٠١٤٥٦٥٥٧٦

الرياض - طريق الإمام سعود - شرق جمعية الأملفان المعاقين

ص.ب. ٤٠١٠٤ - الرياض ١١٤٩٩

info@alqamarain.com

- ضوء -

•• بنهم، وتأمل، وتلذذ، قرأت هذه المحاضرة.. بل
كأنني أراك وأسمعك أمامي وأنت تلقى أصوب الأفكار،
وتؤكد أعظم الحقائق؛ وهو بقاء الكتاب - الكتاب
المطبوع في أوراق.. وليس على أقراص مدمجة، أو
منشور على صفحات الهواء في الإنترنت.. أو غير ذلك
من المستجدات.. التي لا ينكر أثرها.. لكنه الكتاب
الحقيقي المطبوع.. قال تعالى : (ولو نزلنا عليك كتابا في
قرطاس) "سورة الأنعام آية ٧".

أصبحت الهدف.. وسبقته بقول الحق.. فهذه الحقيقة هي
الأصل الذي لا مرأى فيه.. فالكتاب المطبوع المقروء هو
الحقيقة التي تحمل كل الحقائق الأخرى.. جاء الكتاب
ومادته (ثلاثمائة وعشرين) مرة في القرآن الكريم.. مما
يؤكد أن الكتاب هو الأصل.

د. محمد بن أحمد الرشيد